



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التراث

نشرة شهرية متخصصة
تعنى بإحياء تراث علماء الشيعة



آية الله السيد

عبد الرؤوف فضل الله «طاب ثراه»

السنة الخامسة - العدد الستون - كانون الأول ٢٠١٦م - ربيع الأول ١٤٣٨هـ.

جمعية الإمام الصادق (ع) لإحياء التراث العلماني

لاستفساراتكم واقتراحاتكم يرجى التواصل على العنوان التالي:

toorath@hotmail.com

70 - 61 68 08

تصميم وطباعة شركة

00961 3 336218

(بطاقة عالم)

العلامة الجليل الفقيه السيد حسن الصدر

(صاحب تكملة أمل الآمل)

عالم فاضل جليل تصدى لل مرجعية في الكاظمية من بغداد، حيث ولد فيها سنة ١٢٧٢هـ، وهو نجل العلامة السيد هادي الصدر أحد أعلام الكاظمية، وهو حفيد السيد صالح الموسوي الذي ترك (شجور) على أثر النكبة التي حلت بها من العثمانيين سنة ١٧٨٣م.

فالسيد حسن بن السيد هادي بن السيد محمد علي بن السيد صالح الموسوي الذي يرجع نسبه إلى السيد نور علي الموسوي في (جباغ).

درس السيد حسن المقدمات في الكاظمية على فضلائها ومنهم: الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن آل ياسين، وفي سنة ١٢٩٠هـ، غادر الكاظمية إلى النجف الأشرف، منكباً على التحصيل على أساطينها حتى سنة ١٢٩٧هـ، ثم غادرها إلى (سامراء) حيث كان يسكن المرجع المجدد السيد محمد حسن الشيرازي، فأصبح ملازماً له، ومن مستشاريه.

عاد إلى الكاظمية سنة ١٣١٤هـ، ليساعد والده المريض بمهامه الإجتماعية، وبعد رحيل والده سنة ١٣١٦هـ، تصدى للشأن العام وللتبليغ الديني والإصلاح الإجتماعي، حتى رحيل المرجع السيد إسماعيل الصدر سنة ١٣٣٨هـ، فعاد الناس إليه في أحكام دينهم، وكان من العلماء المحتاطين، والذين كان لهم حضور واضح، وقد ترك أثراً طيباً على صعيد الناس والحوزة العلمية، فقد صنّف في العديد من العلوم، وكان أحد أعلام تلك المرحلة، وشهد له بالفضل علماؤها، ومنهم: ابن شقيقته العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين الذي قال عنه: «فقد أنشأه الله في حُجرٍ حكيم، كان من أبر الحجور، والده المقدس السيد هادي الصدر».

توفي في ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ الموافق لشهر حزيران من سنة ١٩٣٥م، وكان يوماً مشهوداً، وشيخ في الكاظمية، ودفن إلى جنب والده السيد هادي الصدر، في حجرة داخل الصحن الشريف، وأقام المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني مجلس الفاتحة له، لمدة ثلاثة أيام، وكذلك في جبل عامل، حيث أقام مجلس الفاتحة له السيد عبد الحسين شرف الدين.

آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله «طاب ثراه»

الشريف حسن - كما سنذكر - قدم إليها من مكة المكرمة، لكونها حاضرة علمية.

أصل العائلة من مكة المكرمة، وهم سادة حسنيون كما ذهب إلى ذلك كل من عرفهم أو ترجم سيرهم، ومنهم: العلامة السيد محسن الأمين، عندما ذهب إلى أنهم سادة حسنيون بلا شك ولا شبهة.

جدّهم الأعلى الشريف حسن، هو الذي انتقل من مكة المكرمة إلى جبل عامل بداعي العلاج، وكان على صداقة مع علماء من (آل خاتون)، تعرّف إليهم عندما كانوا يذهبون للحج والعمرة، ولم يكن الحج في ذلك الوقت على طريقة اليوم، أياماً معدودات، بل كان يمتد شهوراً، وكانوا يتعارفون مع علماء وأعيان مكة المكرمة.

والعلماء الذين قدموا إلى جبل عامل، لم يكونوا بدافع واحد، فهناك من قصد جبل عامل بداعي الدرّس والتحصيل، كالشيخ ناصر بن إبراهيم البويهّي، وهناك من جاء ربّما لاجئاً من الأوضاع المتردية، كالشيخ نجيب الدين أبو القاسم بن حسين بن العود (الأسدي)، فكان يسكن حلب في عهد النقيب عز الدين مرتضى، وأسأوا إليه نتيجة التعصب المذهبي، وسكن قرية (جزين) ومات فيها سنة ٦٧٩ هـ فرثاه العلامة الشيخ جمال الدين إبراهيم بن الحسام أبي الغيث العاملي، بقصيدة مطلعها:

عَرَّجَ بجزين يا مُستبعدَ النجفِ
ففضلُ من حلّها يا صَاحِ غَيْرِ خَفِي

من علماء القرن الرابع عشر هجري، كان عالماً جليلاً ورعاً عبداً زاهداً، طاهر القلب، صافي النفس، وكان واعظاً متعظاً، وكان علماء جبل عامل يعتبرونه (قدوة)، والسيد عبد الرؤوف من العلماء الذين استفادوا من المرحلة التي قضاها في النجف الأشرف، وقد شملته الألفاظ الإلهية، فحاز على الملاكات وصفاء النفس، فلم يكن في داخله كيد أو حسد، أو تنافس دنيوي، فأدّب نفسه، وخرج من أهوائها بصدق وإخلاص، ولم يكن يدّعي ذلك، ولا همّه أن يعرف أحد ذلك، فروّض نفسه بالتقوى، ولم يُعطها ما تُحبّ، فخالف هواه وأطاع موله، فاطّلع المولى على صدقه وإخلاصه، فقرّبهُ، وأغدقَ عليه من أطافه، فكان العالم الصالح الزاهد الصادق، ولم يمنعه زهده من تحمّل المسؤولية، ولم يمنعه احتياطه من تشييد المؤسسات وصرف سهم الإمام عليه السلام عندما يكون في محله، وهذا ما سنتطرق إليه في سياق حديثنا.

ولد السيد عبد الرؤوف فضل الله، في قرية (عيناثا) من جبل عامل في السابع من شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٥ هـ وقرية (عيناثا) إحدى الحواضر العلمية التي خرّجت علماء وفضلاء وأدباء، وكان لها دورها ومكانتها العلمية منذ القدم، وكانت مقصداً للعلماء، وقد قصدها الشيخ ناصر الدين بن إبراهيم البويهّي، ودرس فيها على الشيخ ظهير الدين العاملي، وأصبح من الفضلاء والشعراء ومات فيها سنة ٨٥٣ هـ، وحتى علماء (آل فضل الله) جدّهم الأعلى





لمصالح دنيوية يستفيد منها هذا الزعيم أو ذاك، وهنا ما كان من السيد علي محمود الأمين إلا أن طلب من الزعيم الأسعد التوجه إلى (عيناثا)، ولقاء السيد نجيب فضل الله، والإعتذار منه، وتصحيح الأمور وأن لا حَلَّ غير هذا، وبالفعل توجه إلى (عيناثا)، لكن المشكلة أن السيد نجيب رفض استقباله، وبعد إصرار المحييين والأعيان، قبل السيد نجيب استقباله داخل الدار.

أما جده، فهو السيد محيي الدين فضل الله، صاحب المكانة العلمية والدرجات الرفيعة في صفاء النفس، وكان من تلاميذ أستاذ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري، وكانت بينهما مراسلات، وأوكل إليه الشيخ الأنصاري مهمة الفتيا لأهالي جبل عامل، وحلَّ الخصومات.

فالسيد عبد الرؤوف من هذا البيت، ومن هذه البيئية، ومن هذه السلالة الطاهرة، وقد عاش مع أبيه في جبل عامل عشر سنوات حيث توفي السيد نجيب سنة ١٣٣٥هـ وعلى رواية سنة ١٣٥٦هـ.

وبعد أن درس على أبيه، وعلى فضلاء جبل عامل في تلك الفترة، قرّر التوجه إلى النجف الأشرف للتفرغ الكامل لطلب العلم، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٦هـ وقد سبقه إليها أخوه العلامة المقدّس السيد محمد سعيد فضل الله، وكان عالماً جليلاً، زاهداً عابداً يميل للعزلة إلا للضرورة، وكان منصرفاً للدرس والتدريس، ولا يخرج إلا للدرس، وزيارة الحرم المطهر، وبعض الأعمال الضرورية، وهذا ما جعله يحوز على مراتب عالية من العلم، وكمالات النفس.

وصل السيد عبد الرؤوف إلى النجف، وهو ابن واحد وعشرين سنة، وانكبَّ على الدرس والتحصيل وتربية النفس، وأكمل المقدمات والسطوح على أخيه السيد محمد سعيد، وعلى العلامة الميرزا فتاح الشهيدي، ثم انتقل إلى البحث الخارج فحضر على مشاهير تلك المرحلة، كالسيد أبو الحسن الأصفهاني، والسيد محمود الشاهرودي، والسيد

وهناك من جاء إلى جبل عامل بطلب من أهاليه، كالسيد أحمد الجدّ الأعلى للسيد محسن الأمين، والشيخ إبراهيم البلاغي، والشيخ حبيب البغدادي وغيرهم، وقسم قَدَم إلى جبل عامل بداعي العلاج ومنهم: الشريف حسن الجدّ الأعلى لآل فضل الله، كان عالماً أديباً شاعراً، وعلى ما يظهر فإنه أصيب بمرض صدري، ووصفوا له جبل عامل لأن مناخه ينفع في معالجة الأمراض الصدرية، ولذا اختياره لـ (عيناثا) كان لهذا السبب، مضافاً لوجود أصدقاء له من علماء (آل خاتون)، وبعد مرور ثلاث سنوات على وجود العائلة في (عيناثا)، إرتحل الشريف حسن عن هذه الدنيا، ودفن في (عيناثا)، وبقيت عائلته، فخرج منها علماء وأدباء، ولا زالت هذه العائلة حاضرة بعلمائها إلى يومنا هذا.

من ذريّة الشريف حسن: السيد محمد فضل الله، وأخوه السيد فخر الدين، وإليهما انتهت الرئاسة العلمية في عهد الأمير ناصيف النصار، وكان جبل عامل في تلك المرحلة يعيش المرحلة الذهبية، من الحضور العلمي والنمو الإقتصادي والإستقرار الأمني.

والده السيد نجيب الدين فضل الله، أحد علماء جبل عامل، وأحد أعمدته، وكانت له مساهمات كبيرة - وخصوصاً بعد عودته من النجف - في تثبيت الحياة العلمية التي أصيبت بنكسة كبرى في جبل عامل على يد العثمانيين سنة ١٧٨١م، مضافاً لدوره التبليغي والإصلاحي، فقد ترك بصمات طيبة، قدّرها له العلماء، وكان رحمه الله، شديد الدفاع عن الحق والمظلومين، وقد وجه رسالة قاسية للزعيم السياسي كامل بك الأسعد، إنتصاراً للفلاحين، وحاول الزعيم الأسعد أن يستغيث وعبثاً بالعلامة السيد علي محمود الأمين، علّه يرى فيه الأمل في نصرته على السيد نجيب الدين، معتقداً أنّ هناك نزاعاً وتنافساً بينهما، من دون أن يلتفت هذا المسكين إلى ورع وتقوى وزهد هؤلاء الأعلام، وأنّ الإختلاف لو وقع يكون في إطار مصلحة العمل، والحرص على الدين، ولن يكون هذا الخلاف معبراً



التراث

جيبيل) ليكون إماماً لهم وللمنطقة، وكان ذلك قبل رحيل السيد عبد الحسين شرف الدين بثلاث سنوات.

وإذا كان السيد عبد الحسين شرف الدين وعلماء تلك المرحلة، واكبوا محطات أساسية من نهاية الحكم العثماني، والإحتلال الفرنسي ونكبة فلسطين، إلى الإستقلال الموهوم، فإنَّ السيد عبد الرؤوف فضل الله ومعه جيل من العلماء، كالسيد محمد حسن فضل الله، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد هاشم معروف الحسني، والشيخ محمد تقي الفقيه والشيخ علي الفقيه، والإمام السيد موسى الصدر، والشيخ حسين الخطيب وغيرهم، على اختلاف أعمارهم ومكاناتهم العلمية، كان يمرُّ بمرحلة معقدة ومركبة من مواجهة الأطماع الإسرائيلية، وتصويب مسار الدولة والوقوف في وجه المد اليساري المنحرف، مع الأخذ بعين الإعتبار التعدد الطائفي والمذهبي، وهذا كان يتطلب القيام بعدة مسؤوليات ومهام، من الوعظ والإرشاد، وإحياء المناسبات وإصلاح ذات البين، إلى التربية وبناء المؤسسات، ومطالبة الدولة بالإصلاحات، ولذلك كانت هناك مطالبة حثيثة من هؤلاء الأعلام بحقوق الطائفة، ومن جملتها: إنشاء مجلس إسلامي رسمي يخص الطائفة الشيعية، مضافاً للإصلاحات العامة والمطالبة بحقوق الطائفة، وهذا كان يحتاج إلى استنهاض الناس وإصلاح أمرهم وتثبيت عقيدتهم، وجعلهم متمسكين بأرضهم ودينهم، وهنا لا تكفي الموعظة الحسنة، وإن كانت هي الأساس، فهذا يحتاج إلى توعيتهم، وتوحيد كلمتهم، وإيجاد فرص لتعليمهم، وبناء مؤسسات إجتماعية وتربوية، تسدُّ الفراغ بعد إهمال الدولة، واستنهاضهم لمواجهة العدو الإسرائيلي وحماية وطنهم.

السيد عبد الرؤوف سكن في (بنت جيبيل) فعمل بالتبليغ ورعاية شؤون الناس، فأرشدهم وعلمهم وحلَّ مشاكلهم، وكان يتردد على الضاحية الجنوبية من بيروت، فقام بدور الأب والأستاذ والموجه والمربي، وكان قدوة للناس وللعلماء، ويمتلك قدرة التأثير على الجميع فكان مؤثراً

عبد الهادي الشيرازي، وتخرَّج عليه العديد من الفضلاء، كالشيخ بشير حمود الشوكيني، والسيد عباس أبو الحسن، والسيد علي مهدي إبراهيم، والشيخ حسن العسيلي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، ونجله السيد محمد حسين، والسيد عبد المحسن فضل الله، والسيد عبد الكريم نور الدين، والسيد محمد علي الأمين، وغيرهم.

بقي في النجف منكباً على الدرس والتدريس وتربية النفس، من سنة ١٣٤٦هـ إلى سنة ١٣٧٥هـ الموافق لسنة ١٩٥٥م، هذه الفترة التي قضاها في النجف الأشرف، كانت من أهمِّ المراحل في حياته، رغم قساوتها ومرارتها على المستوى المعيشي، لا يتحمل تلك الحياة إلا من بات لا يشعر بمرارتها، وأبدله الله تعالى حلاوة الدين والعلم ومجاورة الإمام علي عليه السلام، فانشغل بالعلم والعبادة وتربية النفس، فلم يعد يلتفت إلى جوعه وجوع أولاده، وأنا هنا لا بدُّ وأن أشيد بنساء هؤلاء الأعلام، المؤمنات الصابرات الطاهرات، فنحن عادة لا نذكرهن لغفلة منا، مع العلم لو لم تصبر هذه المرأة وتكون حائزة على مواصفات إستثنائية، لما تمكَّن زوجها من بلوغ هذه المراتب العالية، فالسيد عبد الرؤوف الذي سكن مع أخيه السيد محمد سعيد في بيتٍ صغير، يكاد أن يسقط على الأرض. وكانت زوجة السيد عبد الرؤوف كريمة الوجيه الحاج حسن بزي في (بنت جيبيل)، وهي غير مجبورة على هذه الحياة التي لا تحتمل، لولا أنَّ إيمانها بما يقوم به زوجها هو في خدمة الدين وأهله، كما أنَّ والدته هي كريمة العلامة السيد جواد مرتضى صاحب مدرسة (عيتا الجبل) الذي عاد إلى جبل عامل سنة ١٢٩٧هـ والسيد عبد الرؤوف هو عدل المرجع الديني السيد محسن الحكيم، من هنا تعرف كيف تمكَّن السيد نجيب فضل الله من قطع كلِّ هذه الأشواط القاسية والتي جعلته يصل إلى هذا المقام السامي.

عاد إلى جبل عامل في ١٥ تموز سنة ١٩٥٥م الموافق لـ ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٥هـ بعدما طلبه أهالي (بنت





إلى المناطق التي تحتاج إلى عالم دين، وكانوا يحظون برعايته.

أما دوره الإصلاحية وجمع الكلمة، فهذا لم يكن خافياً، وعندما وقع بعض الخلاف بين بعض العلماء والإمام السيد موسى الصدر فيما يتعلق بطريقة العمل في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كان دور السيد عبد الرؤوف إصلاحياً وعمد إلى جمع الكلمة.

أما آثاره العلمية، فله مصنفات في الفقه والأصول، وهي تقارير لبحوث أساتذته العظام، حيث كانت التقارير تنم في تلك المرحلة عن فهم الطالب للمباحث وقدرته على مناقشتها، كما كان شاعراً، وله قصائد.

أعقب السيد عبد الرؤوف أبناءً صالحين، وأبرزهم آية الله السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله عليه)، صاحب اليد الطولى في دعم خيار المقاومة ضد الإحتلال الإسرائيلي، وكان من رواد التقريب والوحدة الوطنية، مضافاً لرعايته الكثير من المؤسسات الإجتماعية والتربوية والفكرية.

وفاته:

كانت يوم الثلاثاء الواقع في ١١ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ الموافق لـ ٤ كانون أول من سنة ١٩٨٤م، ففجع لبنان والعالم الإسلامي برحيل هذا العالم الكبير والجليل، ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف، وصلى عليه المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي قُدِّسَ سَمِيُّهُ، وأقيمت له مجالس الفاتحة في النجف ولبنان وإيران، وأمريكا وأستراليا، واستمرت إلى الأربعين.

وأقيم له حفل تأبيني في لبنان، ألقى فيه الكلمات والقصائد. فتحدث رئيس مجلس الوزراء د. سليم الحص، ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى العلامة الراحل الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وألقيت العديد من القصائد، منها: للسيد محمد حسن الأمين، والسيد محمد نجيب فضل الله، وكانت كلمة الختام لنجله العلامة الراحل السيد محمد حسين فضل الله.

بسلوكه وبوقاره، قبل أن يتكلم بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، فهو مصداق الحديث الشريف، لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره...»، فكان رضوان الله عليه، يجسد العالم القدوة، بسلوكه وأخلاقه وهدوئه، واستفاد منه الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم في المجتمع.

ومن جملة ما قام به، رعايته وتأييده للمشاريع التي نهضت في تلك المرحلة، سواء ما هو متعلق بوضع حجر الأساس، كما فعل في جمعية التآخي في المنطقة الشرقية من بيروت، ومشروع منطقة (النبعة)، الذي ضمّ حسينيةً ومسجداً ومستوصفاً وحسينية للنساء، وقاعة للأطفال، ومكتبة عامة، كم ضمّ المجمع منزلاً لسكن عالم المنطقة، كما عمل على ترميم حسينية (بنت جبيل)، مضافاً لمشاريع في (بنت جبيل) يعود ريعها للأوقاف، كما عمد إلى رعاية الكثير من المشاريع التي قام بها العلماء.

كما كان للسيد قُدِّسَ سَمِيُّهُ دور أساسي في رعاية المحتاجين والأيتام، وخصوصاً تلك المأساة التي خلفتها الحرب الأهلية في لبنان، والتي كان المتضررون منها بحاجة ماسة إلى وقوف العلماء إلى جنبهم، وأذن - رحمه الله - لبعض الميسورين بصرف الحقوق الشرعية المتوجبة عليهم، وهذا كان على مساحة الوطن من الجنوب إلى بيروت والبقاع. كما لم يكن على الحياد فيما يخص الثورة الإسلامية في إيران، فكان مسانداً لها والتي انتصرت على يد الإمام الخميني سنة ١٩٧٩م، فكان يرى ضرورة تأييد هذه الثورة المباركة، ويعتبرها منارة أساسية لا يمكن التفريط بها.

ولم يقتصر قُدِّسَ سَمِيُّهُ على رعاية العمل الديني الخاص بلبنان، وإنما شملت الجالية اللبنانية في بلاد الإغتراب، ولم تنحصر رعايته بالإذن لهم بصرف سهم الإمام فيما يحتاجون إليه، بل كانت بركاته واضحة في رعاية بعض المؤسسات كما في إنشاء مكتبة عامة في فرنسا.

كما كان رحمه الله يرسل المبلغين من العلماء والمشايخ



نظمت جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمي

بالتعاون مع النادي الحسيني وبلدية مدينة النبطية إحتفالاً تكريمياً

للعالمين الجليلين

الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا (طاب ثراهما)

مما أدى إلى استمرار الأزمة، وتفاقم المشاكل. والفرنسي الذي يدّعي الحضارة والتطور، نراه يعمل على الفتن بين المسلمين والمسيحيين، هذه الفتنة التي أدت إلى حرق قري بأكملها، ومكتبات علمية وإلى تهجير الناس. وبما أن أسباب الوهن لا زالت قائمة، كان يجب على العلماء أن يستمروا بنفس المواجهة التي كانت أيام العثمانيين، من الحضور العلمي وتشديد المدارس إلى النهضة اللغوية والأدبية.

الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا، تخرجوا من المدرسة الدينية في منطقة النبطية التي شيدها العلامة السيد حسن يوسف مكي سنة ١٨٩٢م، وقيمة هذه المدرسة أن فيها مديراً ومؤسساً لها والذي هو السيد حسن يوسف مكي المتميز بعلمه وسعة اطلاعه ووعيه، وأخلاقه وإدراكه للمخاطر، والقيمة الثانية لهذه المدرسة، هي وجود أستاذ استثنائي فيها، وهو العلامة السيد محمد إبراهيم نجل العالم الكبير السيد علي إبراهيم، أحد مؤسسي الحياة العلمية الثانية في جبل عامل، وكان بارعاً بالعلوم الطبيعية، وهو السبب في أخذ طلاب هذه المدرسة المنحى اللغوي والأدبي والاجتماعي.

فالأساس الفكري لهؤلاء الطلاب، هو هذه المدرسة

في البداية، تحدث عضو المجلس المركزي في حزب

الله سماحة الشيخ حسن بغداددي، ومما قاله:

ونحن نحبي ذكرى العالمين الجليلين الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا، في إطار تكريمنا للعلماء، الذين مروا على جبل عامل في مراحل مختلفة، بعض هؤلاء العلماء، قاموا بوظائفهم الدينية، ولم يعد لهم ذكر إلا بمقدار ما نذكرهم نحن وأصحاب التراجم، وهناك قسم آخر، ومنهم: العلامتين ظاهر ورضا، تركوا أثراً طيباً وبيناً في الميادين المختلفة، وما تكريمنا لهم إلا من باب استعادة التجربة والإطلاقة على تلك المرحلة المعقدة، التي كانت الهوية فيها تتعرض للمخاطر، هذا الفريق من العلماء، وإن تفاوت حجمه العلمي والاجتماعي والسياسي، إلا أنهم يجتمعون تحت عنوان: (العلماء الحاضري الذكر).

لقد قدّم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر إنجازات كبيرة: في التربية والتعليم، وتحسين اللغة، في مرحلة كان لبنان والمنطقة أحوج ما يكون إليها، هي النهضة اللغوية والتربية ونشر العلم، وخصوصاً أن العثمانيين الذين انتهوا بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م، لم يكن البديل عنهم الإستقلال، بل كان الإنتداب والإحتلال الفرنسي والبريطاني على كل من سوريا ولبنان وفلسطين،



نشاطات المهذب



الدينية التي علمتهم وربّتهم وأسستهم، وهؤلاء لم يأتوا من فراغ أو بفعل الصدفة، وإنما نشأوا من بركات جهود كبيرة بُذلت في سبيل الإبقاء على جبل عامل حاضرة علمية وفكرية وأدبية وجهادية.

كان هذان العالمان الجليلان يمتلكان إدراكاً دقيقاً لخصوصية تلك المرحلة، فبعد رحيل الأستاذ والمربي والمؤسس سنة ١٩٠٦م، بدأت رحلة العمل في مواجهة تداعيات نهاية الحكم العثماني حيث عاصروا أواخر العهد العثماني، وقيام الإنتداب الفرنسي، ونكبة فلسطين.

فكان من الطبيعي، أن تكون المواجهة بحجم التحدي، فقد ولد الشيخ أحمد رضا سنة ١٨٧٢م، والشيخ سليمان ظاهر سنة ١٨٧٣م، قبل نهاية الحكم العثماني بست وأربعين سنة، حيث انتهى الحضور العثماني سنة ١٩١٨م. وعليه فقد عاصروا المرحلة الأخيرة من نهاية الحكم العثماني، وكانت مرحلة قاسية من إرهابات الحرب

العالمية الأولى، وما صنعه العثمانيون من خلال واليهم على سوريا ولبنان السفاح (جمال باشا) الذي بدل من أن يعمل على إرضاء العاملين والتخفيف عنهم وجذبهم إليه، أخذ يُنكل بهم، ويُذكرهم بأيام أحمد باشا الجزار سنة ١٧٨١م.

في تلك الفترة نهضت تجمعات عربية تطالب بالتخلص من الحكم العثماني الفردي الإستبدادي بحكم يراعي مصلحة الدولة ضمن إطار التوازن القائم على التعددية المذهبية، وهنا نجد أن الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، شاركا بهذا الإتحاد، وعملا على نشوء فروع له في مختلف المناطق ومنها النبطية.

ولما انكشف زيف القيمين انسحب هذان العالمان الجليلان من هذه الحركة، وكاد أن يدفعا ثمن حياتهما، حيث عمد السفاح جمال باشا إلى تشكيل محكمة سورية في (عاليه)، وإصدار حكم بإعدام رجالات الثورة.

كما شاركا سنة ١٩١٣م في المؤتمر الذي عُقد في



نشاطات المهذب

والشيخ أحمد رضا، هما من رجالات الإصلاح والنهضة الفكرية واللغوية، والتي أسست لمرحلة جديدة من الحضور التربوي والثقافي واللغوي والاجتماعي، ولهذا نراهما قد عملا في عدة ميادين، هي:

أولاً: توعية الناس وجعلهم يرتبطون بدينهم من خلال تذكيرهم دائماً بالله تعالى وبآخرتهم وبالموت والحياة، من خلال الوعظ والإرشاد، والانتماء إلى المساجد والحسينيات ومجالس العزاء لسيد الشهداء الحسين عليه السلام.

ثانياً: التعليم والتربية، إذ لا يمكن أن تنجح أمة الجهل والأمية، وبهذا الصدد يقول الشيخ سليمان ظاهر: «آفة الأمم تكمن في مصانعة الخاصة للعظماء والأمرء، والمصانعة تنطلق من الخوف والرجاء والطمع، ويجمعهما دناءة النفس، وضعف الإرادة، ولؤم الطبع، وبالتالي هو الجبن بعينه، والجبن هو مصدرُ خنوع الأمة وهيمنة الظلمة، والإستسلام للسلطة والسلطان، فتمسك الناس بمصانعة الطغاة هو دفعاً لمغرم، أو جلباً لمغنم، أو طمعاً في الرجاء، أو أمناً من الخوف، فهذا كله يلحق ضرراً هائلاً على حياة الأمة».

والشيخ أحمد رضا، قال: «على القيميين أن يحسنوا التعليم الديني المبني على الكتاب والسنة الصحيحة، ويُغذوا به عقول الناشئين».

وهناك في مكانٍ آخر، يقول: «إن ضياع مجد الأمة وحضارتها الإسلامية، هو بتركهم للتربية الصحيحة القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن هذه الخصلة كان بها الإسلام أمة حية، متناصرة متصادقة، حتى مدت جناح سلطتها على المعمورة، بأقل من قرن، وأصبح فيها المسلم في عز عزيز، بعز أمته وقوة عصبيته، حتى أهملت التربية، وترك بنوها الطريق، فداخلها الضعف، وكاد يُلَاشيها الإنحلال».

باريس للبحث في شؤون ما آلت إليه الأمور، وألقيت القصائد والكلمات.

أما في العهد الفرنسي، وكما عبر السيد عبد الحسين شرف الدين، فإن الإحتلال الفرنسي لم يكن مرحباً به في جبل عامل.

وهنا نجد كيف وقف الشيخ أحمد رضا أمام المحتفلين بالحاكم الفرنسي في النبطية، حيث لم يلقَ ترحيباً من المسلمين الشيعة، إلا من بعض النصارى، فقال: «نحن نشكر فرنسا كمحررٍ للشعوب، ولا نشكرها كمستعمر لبلدنا».

وعندما استدعى الكولونيل الفرنسي كلاً من الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، وحذرهما مما هما عليه، قال له: «نحن عرب وفتخر، وآمالنا كلها استقلالية، وهل أنت تقبل أن يحكمك غير الفرنسي؟».

لهذا كانا يعتبران أن الإحتلال الفرنسي، هو استمرارٌ للمشروع الصليبي الذي احتل المنطقة زهاء قرنين من الزمن، وهذا ما عبّر عنه الجنرال غورو في دير البلمند، حيث قال: «دعوني أستعيد وإياكم تلك الذكريات العظيمة التي ترف فوق هذا الدير القديم، ألا وهي عمل آبائي الصليبيين الذين قاوموا الدهر واخترقوا الأجيال».

من هنا كان العمل على مواجهة الإحتلال الفرنسي، بكل أشكال المقاومة: من عدم الترحيب به، إلى مقاطعته، وعدم الإنزلاق نحو الفتنة الداخلية بين المسلمين والمسيحيين، وهذا ما عمل له في المنطقة العلامة الكبير الشيخ المرحوم الشيخ عبد الحسين صادق مع إخوانه العلماء والمشايخ، وكذلك ما أنتجته مؤتمر وادي الحجير سنة ١٩٢٠م، من إيجاد جدارٍ قويٍّ في مواجهة الفتنة الداخلية مع المسيحيين.

وبالخلاصة: فإن العالمين الجليلين الشيخ سليمان ظاهر



نشاطات المؤلف



الشيخ ظاهر، أن تحصين اللغة العربية، هو بفضل القواعد والعلوم، وتعليم الناس لها، وهذا ما كان يتنافى مع تعلم الناس علوماً ولغاتٍ أخرى.

أما دعوى الهوة بين العامية والفصحى، يقول الشيخ سليمان: «إن العامة لم يُتَح لها التعليم، كانت وما زالت تأخذ فروض دينها وتتلقى أحكامه وتستمتع إلى المواعظ البليغة الخاصة، من علماء الدين والمرشدين».

الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا، تركا العديد من المصنفات التي ما زالت تشكل مرجعية في اللغة والتاريخ. فالشيخ أحمد رضا ترك أهمّ العناوين، ومنها:

١. رسالة في الخط، وهذا يكشف مدى اهتمامه بالتراث العربي.

٢. المعجم اللغوي، ونشاطه اللغوي سواء الذي طبع كقاموس في اللغة، أو الذي نشر في بطون الكتب والمجلات والصحف.

مضافاً، لاهتمامه بأصول العقيدة والفقهِ، بطريقة تنسجم مع تعليم الناس العاديين أصول دينهم وأحكامهم الفقهية.

كما عملا على تطوير اللغة التي تشكل الحفاظ على الهوية، من الإنحراف والتشويش عليها، وهنا برز الشيخ أحمد كأحد مراجع اللغة العربية، فأعطاهم حيزاً مهماً من وقته، وخصوصاً أن كماً هائلاً من المفردات طرأت على اللغة، مضافاً للمستحدثات في مختلف العلوم والصناعات التي وضع العرب أسماء لها، ولهذا نجد في سنة ١٩٣٠م، يلبي دعوة المجمع العلمي العربي في دمشق، ويعمد إلى تصنيف (معجم لغوي) يجمع فيه بين متن اللغة، ويضم إليه ما وضعه كل من المجمع العلمي في دمشق، والمجمع العلمي في القاهرة، من الكلمات المنتجة للمعاني المستحدثة، وأيضاً، ما طرأ على اللغة من مفردات، وهذا الجهد دام ثماني عشرة سنة، هذا ناهيك عن المقالات اللغوية التي نشرها في المجلات والدوريات والصحف...

كذلك الشيخ سليمان ظاهر، الذي لم يترك فرصة في سبيل الدفاع عن اللغة، وكان يرى أن الإستعمار لم يتمكن من النيل من لغتنا العربية، رغم نجاحه في أمور كثيرة، فقد استطاع في محطات كثيرة أن يقهر الشعب العربي، ولكنه لم يتمكن أن يفرض عليه التخلي عن لغته، كما اعتبر



نشاطات المهلة



الأبرار، وتراث هذا الجبل الأشم، حيّاه الله وبارك في مسيرته.

أيها الأخوة الكرام، بين الشيخين العالمين تقاربٌ شديدٌ، فكل منهما أبصر النور في بلدة النبطية، فالشيخ سليمان ظاهر سنة ١٨٧٣م أبصر النور، وهو من سلالة عريقة، تعود بنسبها للفقير الكبير الشهيد الثاني قُدِّسَ سرُّه، والشيخ أحمد رضا سنة ١٨٧٢م أبصر النور، من أبٍ ذا شخصية مرموقة ومحترمة في جبل عامل، أرسل كل منهما ولده إلى الكتاتيب لحفظ القرآن، ولتعلموا الكتابة والقراءة، حيث وجد عندهم رغبة شديدة في طلب العلم، فحضرا عند لفيق من العلماء المحليين، على كبرعناوينهم العلمية، مثل: السيد محمد نور الدين من (النبطية الفوقا)، والسيد حسن إبراهيم من (النميرية)، ثم السيد محمد إبراهيم حين قدم إلى البلدة مرشداً ومبلغاً، وهو الذي صقل

كذلك الشيخ سليمان ظاهر، ترك لنا العديد من المصنفات، منها ما هو متعلق بالأدب والشعر أو ما هو متعلق بالتاريخ، حيث كتب تاريخ الشيعة السياسي في عدة مجلدات، أو ما هو متعلق بمعجم القرى في جبل عامل الذي أخرجته إلى النور وطبعته جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي.

ثم كانت كلمة لإمام مدينة النبطية سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، ومما جاء فيها:

أصحاب السماحة والفضيلة، سبطي العالمين الجليلين الكبيرين الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، الأخوة والأخوات الفضيلات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحية شكرٍ وامتنانٍ لرئيس جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي، الأخ العزيز سماحة الشيخ حسن بغدادي على جهوده المتواصلة في إحياء ذكرى علمائنا



شخصيتهما الأدبية، وأيقظ قريحتهما في الشعر والكتابة، وانتهى شوط تلقين العلم على يد العلامة الكبير السيد حسن يوسف مكي بعد مقدمه من العراق، بطلب من أهل البلدة، وضلا يأخذان العلم منه لسنوات حتى إذا غيبه الموت عكفا على المطالعة وقراءة الكتب والجرائد والمجلات بنهم من حينه، وشاركوا في كتابة مقالات على اختلاف موادها (الأخلاقيات، الإجتماعيات، التي كان أكثرها محلياً في لبنان، وبعضها خارج لبنان، مثال: المنار، الهلال، المقتطف)، وخاصةً في «مجلة العرفان»، ولما أنسا من نفسيهما القدرة على التأليف والتوسع في إعطاء الفائدة لذلك الجبل الذي تضغط عليه القوى الأجنبية، فركز الشيخ أحمد رضا (رحمه الله) على الفقه والأدب، ووضع متن اللغة من خمس مجلدات، استغرق إعداده، واهتمامه اثنتي عشرة سنة، وردّ العامي إلى الفصيح، كتاب شيقٌ وجميلٌ في اللغة، ومعجمي الموجز والوسيط.

أما الشيخ ظاهر فركزت مؤلفاته على الكثير من الشعر حيث نظم حوالي ٢٠ ألف بيت في ديوانه، فركز على التاريخ، (قلعة الشقيف صفحات من تاريخ جبل عامل)، وأهمها تاريخ الشيعة السياسي، ولم يكن تأليفه لهذا الكتاب ينطلق من نزعة مذهبية إطلاقاً - كما هو مرجوح العنوان - وإنما كان بمنزلة الإخبار التي مرّ بها الشيعة، كان إلقاء الضوء على الأدراسة في شمال أفريقيا، وما قدموه من خدمات جليلة في نشر الدين والإدارة والعقليين والخفاجيين و(آل حرفوش) وشاهين في لبنان، ولم يصرفهما فعل الإنصراف في الإنكباب على القراءة والمطالعة والتأليف عن النشاط الإجتماعي والسياسي، بل تجلّى النشاط الإجتماعي عندهما في تلك الجلسات الأخوية الصافية التي تجمعهم مع أدباء البلدة وعلمائها في الجلسات الدورية التي كانت

تعطى في بيت الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا والنادي الحسيني، يتناولون مسائل علمية ونكات أدبية وشعر وشؤون المدينة والمحيط وشؤون الأمة العربية والإسلامية، وكذلك كانوا ينتمون إلى العديد من الجمعيات التي بعضها قاموا بتأسيسها أو شاركوا في تأسيسها، مثل المجمع العلمي في العهد الحميدي، شارك في تأسيسه الشيخ سليمان ظاهر، وفي جمعية الإتحاد والترقي سنة ١٩٠٨م، وفي مجمع العلم العربي في دمشق، كعضوين وعضو شرف في جمعية النجف الأشرف الرابطة الأدبية وعشرات المؤتمرات كانوا أعضاء فيها، كانت تعقد في بيروت، وأما في المجال السياسي، فتجلّى نشاطهما في وقتها الجريئة والشجاعة أمام الحكم العثماني، مكلفة بالموقف في باريس سنة ١٩١٣م، مما دعا جمال باشا السفاح إلى زجهما في السجن في عاليه ٥٣ يوماً، وعندما جاء الإنتداب الفرنسي سنة ١٩٢٠م، واجهاه بكل جرأة، حينما وقف الشيخ أحمد رضا أمام الكولونيل الفرنسي ليقول له، وبكل وضوح وصوت عال: «إننا نؤيد الحكومة الشامية العربية ونعمل لها، ونحن لا ننكر أننا عرب قبل كل شيء، وأنت الفرنسي هل ترضى بأن يحكمك غير الفرنسي، فكيف نقبل نحن العرب أن يحكمنا غير العرب، أيلام المرء على حبه لقومه»، كلامٌ سلسٌ وقويٌّ ومؤثر، كما أشار سماحة الأخ الشيخ حسن.

وكذلك الشيخ سليمان أُعتقل أكثر من مرّة لجرأته في مواجهة الإنتداب الفرنسي، وكانت أول قصيدة في الميدان السياسي بعد معركة ميسلون وموقف العربي السوري والشامي عموماً الرائع والجبار، كما قال شعراً مؤثراً بعدما دكّت المدافع الفرنسية العاصمة السورية. إذاً هذان العالمان بفكرهما السياسي والإجتماعي،



نشاطات المهنة



بترانيم خصبة تعزف إبداع اللغة على صفحات الخلود، حتى باتت ترتل حلم الوحدة في حلب وعلى ضفاف الفرات، نراكما هنا، على جدران المدارس وعلى صفحات الكتب... ومع جيل الإيمان والثقافة والمقاومة، نراكما نوراً يُضيئ أيامنا كلما ادلهم الظلام.

أيها العالمان الجليلان... ستبقى بلدية النبطية وقيّة لكما ولكل علمائها ومقاومتها وأبنائها... لا ينال من إصرارها على النهوض بالمدينة وتنميتها، أزمة هنا أو مشكلة هناك... سنعمل فقط، كما هو عهدنا... وسيرى الله عملنا ورسوله والمؤمنون.

أيها الأحبة... إسمحو لي، باسم رئيس وأعضاء المجلس البلدي لمدينة النبطية، أن أتقدم بالشكر الجزيل، من إمامها سماحة العلامة الشيخ عبد الحسين صادق لرعايته الأبوية الدائمة لجميع أبنائها... ومن جمعية الإمام الصادق عليه السلام لما تبذله من جهد في سبيل إحياء التراث العلمائي... ومنكم جميعاً لطيب حضوركم في هذا الجو الماطر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام قدمت جمعية الإمام الصادق عليه السلام وبلدية النبطية درع تقدير لعائلي العالمين المكرمين الجليلين الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا.



وبحركتهما الإصلاحية في مجتمعهما على تنوعها وأهميتها، فهما يعتبران من رواد النهضة العربية التي تبلورت في نصف القرن الأول الماضي.

كما كانت كلمة ترحيبية لرئيس بلدية النبطية د. أحمد كحيل، ألقاه نيابةً عنه عضو المجلس البلدي المهندس ربيع علي طقش، جاء فيها:

أصحاب السماحة والفضيلة، الحفل الكريم... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مذ كنا براعم معقودةً على أغصان الهوى، نمتشق الحلم على قافية الضباب، ونرسم الأيام بيراع رشف معينه من مجلة وكتاب، مذ كنا صغاراً نزهة مثل البيلسان على ضفاف القباب والمآذن، نلهوا بالكلمات بين حنايا حسينية وأزقة معتقة بذاكرة من وجدٍ وحنين، مذ كنا أشبالاً نقتفي أثر اللبث حتى سكننا إلى عرينٍ من مدادٍ ودماء... منذ ذلك الحين، كان العطر فيضاً من علوم، نثره على زهو ألواننا اليافعة نشيداً رتلّه عظماء منهم: الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا.

أيها العظيمان... مشى الزمان ولم تغادرا دنيانا مثل الرّاحلين، نراكما ماكثين لم تبرحا وادي الحجير وسواقيه ودوالي الوعد الصادق على محياه، ومجمع دمشق، يضحّ



نظمت جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي

ندوة فكرية تحت عنوان:

«الفكر المقاوم عند علماء جبل عامل وتأثيره على جيل الشباب»



عالجت الندوة محورين:

المحور الأول: المقاومة في أشكالها المتعددة لدى علماء جبل عامل، عالجه عضو المجلس المركزي في حزب الله سماحة الشيخ حسن بغدادي ومما جاء في كلمته:

عندما نتحدث عن المقاومة، ربّما نشعر للحظة أننا نخترع شيئاً جديداً، ونريد أن نُفنع الآخرين به، بأنّ المقاومة مصطلح طارئ على مفهومنا الديني، وأننا أوجدناه ضمن فكرة التجديد والحداثة.

مع العلم أنّ مصطلح المقاومة لا يعدو اسماً كبقية الأسماء المستعملة في التعبير عن جهاد المسلمين الذي أوجبه الله تعالى علينا، وهو أحد مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد المسلح في سبيل الله هو أحد مصاديق هذا العنوان.

ولا أعتقد أنّ أحداً يناقش في هذا العنوان على المستوى

13 النظري، فالكل يتحدث عنه ويدعو إليه، الظالم والمظلوم، المؤمن والمنافق، إنّما الخلاف وقع في تطبيق هذه النظرية ولكل وجهة نظره، ولم تبق المشكلة ضمن هذه الحدود، وإنما تعدّته لاتهم كل فريق الفريق الآخر، فأنت تتهم الذين يرفضون المقاومة المسلحة بالتقاعس وحبّ الدنيا والمصالح الشخصية، وقد تصل إلى حدود الإتهام بإعانة الظالمين، وهم بدورهم يتهمونك بأنك تعمل ضمن مصلحة أجندة خارجية، ولو حلفت لهم بالقرآن والإنجيل والزبور.

إذاً، مفهوم المقاومة هو الجهاد، وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وعلى طول التاريخ كان هناك أكثر من وجهة نظر، ولذلك كان المطلوب دائماً تنظيم الخلاف، وإيجاد المعذرية لكل فريق، وخصوصاً عندما يصل الخلاف إلى أعلى الهرم في (المؤسسة الدينية)، ونحن شاهدنا وسمعنا وقرأنا

من خلال الوعظ والإرشاد وإحياء المناسبات، إلخ... فالمقاومة هي لأجل الدفاع عن شيء موجود، وعندما لا يكون هناك مجتمع يريد الحياة والكرامة والتطور، فلا معنى لوجود مقاومة، ولهذا عمل علماء جبل عامل على إيجاد مشروع متكامل ينهض بالمجتمع ويحميه من الآخرين، وهناك خطوات:

الأولى: النهضة العلمية، وخصوصاً مرحلة التأسيس، وهذا ما حدث عندما عاد الشهيد الأول من مدينة الحلة، وشيّد مدرسة دينية في قرية (جزين)، وخرّجت عشرات المجتهدين الذين انتشروا في جبل عامل، وعملوا على توليد الطاقات العلمية، بحيث لم يعد هناك حاجة للذهاب للدراسة خارج جبل عامل، بل أصبح مركزاً لجذب الطلاب إليه.

الثانية: توجيه المجتمع، وتعليمهم أحكام دينهم وإحياء المناسبات الدينية وجعلهم يرتبطون بعلمائهم في كل شؤون حياتهم، وهذا شكّل حضوراً مباشراً بين الناس، وصاروا يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة، كما عملوا على إصلاح ذات البين، وحلّ الخصومات.

الثالثة: مقاربتهم للأحداث عن قرب، وعدم الإكتفاء بالتنظير عن بُعد، فالقاضي ابن البراج المتوفى في طرابلس سنة ٤٨٠هـ كان قاضياً في طرابلس، وعلى علاقة وثيقة بالشيخ الطوسي، ولم يكن مجرد واعظ، بل كان متصدياً للشأن العام، وكان باستطاعته أن يبرم الإتفاقيات، ويسير السفن الحربية.

والشاهد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزيني، لم يتفرّج على الأحداث في القرن الثامن هجري، بل عمد إلى بناء جبل عامل العلمي، وسكن في دمشق، وبنى علاقة وثيقة مع السلطة المملوكية، ومع علماء المذاهب، وأطلق العنان لمشروع الوحدة الإسلامية، وواجه الإنحراف الفكري والبدع.

عن بعض الحالات المدمرة التي لم يُنظّم فيها الخلاف، ونزل إلى الشارع من العوام، كم تركت من آثار سلبية ومدمرة على الدين وأهله، وأشير إلى حادثتين كنموذج:

الأولى: الخلاف على الشعائر الحسينية بين الفريق الذي قاده السيد محسن الأمين في سوريا، والفريق المناهض، وقد بالغ الفريق المناهض بالسب واللعن، وأطلقوا على فريق السيد الأمين (الحزب الأموي).

الثانية: المشروطة والمستبدة، أيام ناصر الدين شاه القاجاري، وكيف عمل السيد جمال الدين الأفغاني على تفعيل عمل المشروطة، عندما ذهب إلى النجف الأشرف، وكيف حثّ المرجع المجدّد السيد محمد حسن الشيرازي، كي يُصدر فتوى ضد الشاه القاجاري، وأرسل له رسالة، أُعتبرت قاسية، وفيها خروج عن الأدب في مخاطبة مرجع بهذا الحجم. وأصدر المجدّد الشيرازي فتواه الشهيرة بحرمة استعمال كل ما هو دخان، مما فرضت هذه الفتوى إلغاء المعاهدة مع البريطانيين.

ثمّ ظهرت حركة بقيادة المرجع السيد محمد كاظم اليزدي، وهي مناهضة للمشروطة، وسمّوها المستبدة، ولربما سقطت دماء، وهُتكت كرامات.

إذاً نحن متفقون على العناوين الكبرى، وقد نختلف بالتفاصيل، ويجب علينا أن ندرك حجم المخاطر المحدقة بنا، ولا نتجاوز الحدود في اتهام بعضنا، وأن نعمل على إيجاد المعذرية.

المقاومة عند علماء جبل عامل

لم تأخذ المقاومة شكلاً واحداً وإنما أخذت أبعاداً متعددة، العنوان الجامع: مصلحة العمل والوصول إلى الهدف، ولم يكن العمل الجهادي منفصلاً عن الحضور الإجتماعي والنهضة العلمية والأدبية، وتماسك المجتمع، وإيجاد مجتمع متدين،



نشاطات الهلب

كذلك فعل الشهيد الثاني في القرن العاشر هجري، فسار على نفس طريق الشهيد الأول، وسافر إلى عاصمة الدولة العثمانية، ثم عاد وسكن بعلبك، ودرّس طبق المذاهب الإسلامية الخمس، ولم يسافر إلى إيران رغم الخطر على حياته، لأنّه كان يعتقد بوجود المحافظة على جبل عامل وحمائته من وعاظ السلاطين الذين يستغلون الجشع العثماني لأجل تحقيق نزواتهم.

وهنا نجد كيف عمل علماء جبل عامل مع بعض الأمراء على حماية جبل عامل من العثمانيين، ولولا رعاية العلماء، ومنهم: السيد أبو الحسن موسى الحسيني، لما تمكن الأمير ناصيف النصار من استنهاض الشباب، وإيجاد ستة آلاف مقاتل منظم تحت السلاح، ووصل الأمر أن شاركوا في إسقاط الوالي العثماني في سوريا (عثمان باشا)، وكان العثمانيين انتهوا إلى غير رجعة، لولا خيانة أبو الذهب المصري.

وعند وقوع النكبة على جبل عامل سنة ١٧٨١م، لم يتخلّ العلماء عن واجبهم رغم تعرضهم للخطر الشديد من قتل وتنكيل وتهجير، ومع ذلك نجد نجل السيد أبو الحسن موسى الحسيني السيد محمد الأمين، كيف تصدى للعمل على التخفيف من هيمنة الجزائر، وتنكيه بأهالي جبل عامل، وعندما اشترط الجزائر للقبول بهذه الوساطة أن يضع السيد محمد الأمين نجله الصغير السيد علي رهينة عنده، قبل ذلك رغم الخطر الشديد على حياة هذا الصبي، ومع ذلك نفس السيد لم يسلم، فسجنه الجزائر، ولولا الضغط عليه لما أطلق سراحه، ولأنّه كان مفتياً عاماً، شكّل له ذلك حصانة معقولة.

وعندما نأتى إلى مرحلة خطيرة، وهي نهاية الحكم العثماني، وقيام الإنتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، والبريطاني على العراق وفلسطين، وكيف نشأت حركات متصهينة مدعومة مع نفاق داخلي - آنذاك اليسار المنحرف

- وأرادوا من خلال هذه الحركات تحقيق عدّة أهداف، منها:

- تحميل الإسلام من خلال علماء الدين مسؤولية ما حدث من حروب وفتن وفقر وأمية ومشاكل.
- تبرير وجود هذا الأجنبي، وإعطائه صورة المخلص لهذه المنطقة.
- التحضير لإيجاد كيان غاصب لفلسطين، وتشديد الدولة الموعودة على أرض الميعاد، وبعد ذلك يتمّ الإنسحاب الأجنبي المباشر على أن تقوم أنظمة عميلة بالكامل تتكامل مع العدو الإسرائيلي، وترعى مصالح الغرب، وتكون العصا الغليظة على شعوب المنطقة عندما يطالبون بحقوقهم.

هنا تظهر قيمة السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد عبد الحسين نور الدين والشيخ موسى قبلان والشيخ عبد الحسين صادق والسيد محسن الأمين وغيرهم، عندما نهضوا ليواجهوا هذه المخاطر، فكم واجهوا تداعيات نهاية الحكم العثماني، أيضاً، لم يرحبوا بالإحتلال الفرنسي، ووقفوا بكل جرأة ليرفضوا هذه الوصاية وهذا الحضور، ولا أنسى موقف الشيخ أحمد رضا في النبطية أمام الكولونيل الفرنسي عندما قال: «نحن لا نرحّب بفرنسا المستعمرة، وإنما نرحّب بفرنسا إذا كانت داعمة لخيار الشعوب والتحرير والإستقلال».

ولا زال شعاع مؤتمر وادي الحجير الذي انعقد في يوم السبت ٢١ نيسان ١٩٢٠م، يشع نوراً وتوهجاً، وذلك الخطاب الذي لزلل الوادي للسيد عبد الحسين شرف الدين - وبتقديري - لو لم يكن في ذلك المشهد إلا خطاب السيد عبد الحسين شرف الدين، لكان كافياً في تحصين الساحة الداخلية من الإنزلاق إلى ساحة المواجهة بين المسلمين والمسيحيين.

وبعد تلك المرحلة، أكمل الطريق وسار على نفس النهج الإمام السيد موسى الصدر، ومعه علماء جبل عامل، الذين



أثار حفيظة المسلمين والعلماء وأهل الشرف والغيرة، وهنا نجد كيف أن السيد محمد رضا فضل الله وفي تلك اللحظات نسي ما فعله العثمانيون في المنطقة واندفع للمطالبة بحقهم عبر الرسائل تارة والقصيدة طوراً، ليحمّسهم على إغاثة المسلمين والوقوف إلى جنب الفقراء والمظلومين، ولم يقل أنا من جنوب لبنان، وهمّي يكفيني، ومما قاله في قصيدته:

أثيروها على الطليان حرباً
عواناً تنهبُ الأرواحَ نهباً
أثيروها وغيّ هيجاً ضروساً
تشبُّ بحومة الطليان شبا
عليهم فاضربوا سور المنايا
بجيش يملأ الأكوان رعباً
أثيروها أثيروها هياجاً
فما غير السيوف لهنّ طباً
لنا إن أرغم الأناف ضيماً
عرانين شميم الضيم تآبى
إذا فطم الرضاع لنا وليداً
على الغارات والغزوات شبا
فنحن المانعون الجار ضيماً
ونحن المانحون الجذب خصباً
أثح جزناً بنو الطليان قتلاً

• إذا احتدم الوغى طعننا وضرباً
• إن بركات جهادهم وعملهم ومصنفاتهم، لم تنحصر في مناطقهم، وإنما شعاع هذا الجهاد والعمل، امتد على مساحة الوطن وكل المنطقة، وأصبح جبل عامل مركزاً أساسياً يمكن الإعتماد عليه في كل المهام، ففي عهد الدولة الصفوية، الذي شيّد أركان الدين

لم يختلفوا على مقارعة الإحتلال ولا على تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. وكان العلماء، وفي مقدمتهم السيد محمد حسن فضل الله من أوائل المطالبين بالحكومة اللبنانية - وهناك وثائق عندي تؤكد مطالبهم - إما بشراكة مع المجلس الإسلامي السنيّ، أو بتأسيس مجلس إسلامي شيعي مستقل. إذاً، لم يكن الخلاف على الأصل، وإنما وقع الإختلاف لأسباب تقنية مرتبطة بطريقة العمل، ولسنا هنا بحاجة لذكرها.

وجاءت المرحلة الجديدة بعد اجتياح سنة ١٩٨٢م، وأكمل العلماء المواجهة، وأخذوا الخيار الصعب، وساروا عكس التيار، وتحملوا وواجهوا وانتصروا، ولا زال هذا الإنتصار إلى يومنا هذا.

في الخلاصة، هناك ميزات لعلماء جبل عامل، وهي كثيرة وفي مجالات مختلفة: من الحضور الذهني إلى الذكاء والإخلاص والصبر والثبات وبعده النظر، ومدارة الناس وتحمل الأعباء والمسؤولية، ولكن سوف أذكر ميزات ما نتحدث نحن عنه اليوم، والتي منها:

• لم يتحملوا أعباء المسؤولية داخل بلدهم أو وطنهم فقط، وهذا ما فعله الكثير منهم، كالشهيدين الأول والثاني، والسادة (آل نور الدين) و (آل الصدر) و(آل الأمين) و(آل شرف الدين)، والشيخ حبيب آل إبراهيم المعروف بـ (المهاجر) و(آل معتوق) و(آل شرارة)، وغيرهم الكثير ممن كان لهم حضور خارج بلدانهم أو خارج أوطانهم، وكانوا يتحملون المسؤولية بكل صدق، ولهم مواقف جريئة وحازمة. فعلى سبيل المثال: السيد محمد رضا فضل الله المتوفى سنة ١٩١٧م في قانا، عندما غزا الإيطاليون مدينة طرابلس الغرب، وقتلوا الشيوخ والأطفال وهتكوا الكرامات، وكان ذلك في زمن العهد العثماني سنة ١٩١١م، مما



نشاطات الهلّة

المحور الثاني: بناء المجتمع المقاوم شكّل ضمان تحرير الأرض واستمرار النهج: الشهيد الشيخ راغب حرب «نموذجاً»، عالجه رئيس تجمع علماء جبل عامل سماحة الشيخ يوسف دعموش، وممّا جاء في كلمته:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في خطبته الشقشقية: «وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم».

حينما نتحدث عن دور العلماء في بناء المجتمع المقاوم، والذي من خلاله وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من نعمة الانتصار والعز والكرامة، هو أن نتعرّف على كيفية الوصول للمجتمع المقاوم.

إنّ فكرة المجتمع المقاوم ليست تجربةً جديدةً ولا فريدةً في حاضرنا، بل هي فكرةٌ عرفتتها المجتمعات البشرية القديمة والحديثة في فترات الحروب والمعارك والتحوّلات المصيرية، الأمر الذي يدعو إلى التضامن والتكاتف على صعيد الفرد والجماعة، لمواجهة تلك الأخطار.

ف نجد مثلاً، إسبارطة قامت على فكرة الشعب المسلح فبنى الإسبارطيون جيشاً على أساس استراتيجية دفاعية جماعية لمواجهة شعوب مجاورة تزيدهم في العدد والعتاد، ولما كان العرب قبائل متفرقة متحاربة قام الإسلام كثورة جماعية بإحلال فكرة الأمة محل العشيرة والقبيلة، والوحدة مقابل التجزئة، والعدالة والمساواة والتكافل محل الظلم والنهب والعصبية القبلية، فكان الأنصاري يقدم للمهاجر نصف ما يملك، ولهذا كان المسلمون في مجتمع الإسلام الأول يقاتلون بأسلوب الشعب المسلح، فكانوا ينخرطون بكل فئاتهم صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً في المعركة ضد أعدائهم والإلتزام التام برأي القيادة، مما جعلهم ينتصرون على الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية خلال عقد من الزمن.

ونشر الفقه والحديث والتفسير، وأقام المدارس والمساجد في إيران، هم علماء جبل عامل، وهذا لا يحتاج إلى دليل.

ومن ميزة الفكر المقاوم، عند علماء جبل عامل، أنه يستند إلى أساس فقهي، وترتبط حلقاته ضمن منظومة مترابطة وملتصّة بالإمام المهدي عليه السلام، وهذا يقطع الطريق على الإنحراف عن المسار الصحيح، كما يقطع الأيدي العميلة التي تريد أن تمتد وتأخذك إلى مسارات مختلفة، كما يحدث اليوم مع المنهج التكفيري الذي يحاول أن يأخذ معه طائفة بأكملها ومذاهب بتنوعها إلى ساحة فكره وانتائه، بينما الأيدي العميلة والمأجورة عندنا جُلّ ما تستطيع فعله هو محاولة تذكية نار الفتنة بين السنة والشيعة، فالحضور المرجعي ووعي القيادات المتصدية، يشكل ضمانة عدم الإنحراف، وقطع الطريق على هؤلاء العملاء الصغار وعلى أسيادهم.

نحن بحاجة اليوم إلى أن نكمل هذا النهج، وأن نُفعل دور رجل الدين الواعي والهادف الذي لا يفكر بمصالحه الشخصية، وأن نسير جميعاً طبق هذه الذهنية التي خطّها علماؤنا وقادتنا.

ورغم كل هذه الانتصارات يجب أن نبقى متيقظين ومنتبهين، لما يجري من حولنا وفي العالم، فهذا العالم المجرم والفاقد لا يرانا نستحق الحياة.

ولذلك يجب تحصين ساحتنا الداخلية، والذهاب إلى الوفاق الوطني، من خلال تشكيل حكومة وحدة وطنية، تتناغم مع مشروع حماية لبنان من العدو الإسرائيلي، ومن المنهج التكفيري، وأن نذهب إلى إيجاد قانون انتخاب عصري يقوم على التمثيل العادل ورعاية حقوق الجميع وإنصافهم.



نشاطات المهذب



للمقاومين الأوائل من مختلف التيارات والأحزاب اللبنانية، وكان الإمام الصدر منذ أواخر الستينيات، قد دعا لإطلاق تلك المقاومة بكل أشكالها، وأسس حركة أمل على أساس مدماكين أساسيين.

- رفع الحرمان عن الشرائح الإجتماعية اللبنانية المهمشة بعيداً عن انتمائها الديني والمذهبي والمناطقية.
- إعداد القوة اللازمة لمجابهة الخطر الإسرائيلي على الحدود الجنوبية، وهذا الأمر كان وراء إطلاق أفواج المقاومة اللبنانية أمل.

وتفجرت تلك المقاومة في أعقاب الاحتلال وانبرى المقاومون يقدمون أنفسهم في سبيل دينهم ووطنهم، فكان الشهيد خالد علوان في أيلول ٨٢ مروراً بالعمليات النوعية

ولا ننسى فيتنام ومواجهة أميركا، حيث استطاعت التجربة الفيتنامية باعتمادها لاستراتيجية حرب الشعب من مواجهة أعتى قوة كانت تفوقها عدداً وعدة وقوة، وانتصرت عليها.

ولهذا، نرى سويسرا التي تبنت مبدأ الحياد منذ مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، واستطاعت الحفاظ على هذا الحياد في الحربين العالميتين التي اشتعلت نارهما في القارة الأوروبية، فهي تعتبر أن القوة الذاتية هي الضمانة الأولى لحماية البلاد، وهذا ما دفعها إلى اعتماد نظام الشعب المسلح الذي يقوم على التعبئة العسكرية لقوى منظمة ومدربة ومسلحة عند الضرورة، فإن سويسرا تعدادها ثمانية ملايين، وجيشها لم يتخطى بين ضابط ومجنّد أكثر من ثلاثين ألفاً، لكنها اعتمدت مبدأ الشعب المسلح، فدعت إلى التدريب على السلاح، وتجنيد أغلب شبابها ليكونوا إلى جانب جيشهم في حالة وقوع جيشهم في حالة الحرب، بحيث يصل عديد جيشها ما يقارب الثمانية ألف مسلح، لما للشعب المسلح من دور في صيانة البلاد، وحفظ الوطن أمام الأخطار، كذلك إسرائيل تعد دولة عسكرية بامتياز، إذ تقوم على فكرة المجتمع المسلح، فكل فرد فيها هو جندي بثياب مدنية، وقد نجح العدو الصهيوني، وخلال فترة زمنية قصيرة في بناء مجتمع حرب متكامل من النواحي السياسية والعسكرية والإقتصادية.

ولهذا، تنبه الإمام السيد موسى الصدر إلى الخطر الكامن على الحدود الجنوبية للبنان، فدعا منذ الستينيات من القرن الماضي إلى إقامة مجتمع مقاوم لمواجهة ذلك الخطر، وأصبح يطلق شعارات لإنشاء المجتمع المقاوم بقوله: «السلاح زينة الرجال»، ويعقبها للتدليل على الخطر الكامن على لبنان من تلك الجرثومة السرطانية بقوله: «إسرائيل شر مطلق»، ويقول أيضاً: «على لبنان أن يكون مجتمع حرب، وأتت الحرب لتعزيز ثقافة المقاومة، مما دفع حركة أمل التي لعبت دوراً قيادياً



نشاطات المهذب



19



ولم تنسحب من أرضه إلا مرغمةً مضطربةً بفعل المقاومة التي كان مدماكها الأساسي حزب الله المتمثل بالمقاومة الإسلامية، هؤلاء الأبطال الذين كانوا نتاج جهد العلماء وإصرارهم على إنتاج المجتمع المقاوم.

إن مسؤولية العلماء كبيرة في هذا الظرف العصيب حيث الإنحراف والفساد والرذيلة والفتن وبالأخص إحياء الفتن المذهبية التي علينا مواجهتها لنحصن مجتمعنا ونحفظه من كل شر وسوء.

وفي الختام، لا يسعني إلا وأن أشكر سماحة الأخ العزيز الشيخ حسن بغدادي على هذه المبادرة الكريمة، ودعوتي للمشاركة في هذه الندوة الفكرية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التي قادها أبطال المقاومة، وكانت أولها تفجير مقر الحاكم العسكري في صور التي نفذها الاستشهادي أحمد قصير في ٢ من سنة ١٩٨٢م، وتبعتها عملية الشهيد بلال فحص في الزهراني حزيران ١٩٨٤م، وهكذا استمرت المقاومة واستطاعت دحر الإحتلال الإسرائيلي.

ومما لا شك بأن هذا المجتمع المقاوم في لبنان، كان للعلماء فيه دور واضح وهذا الدور ليس حديثاً، وبالأخص المجتمع المنخرط في خط أهل البيت الذين تعلموا من أئمتهم أن لا يستكينوا لظالم ولا يهادنوا محتل، ولا يستميلوا لأمر واقع يفرض عليهم، تعلموا من أئمتهم أن تبقى رؤوسهم عالية شامخة كشموخ السماء أن هذه الهامات لا تركع إلا لله، فكان الإستعمار الفرنسي، وكانت مواجهة العلماء والأبطال له، فكان السيد عبد الحسين وأدهم خنجر وصادق حمزة الذين كانوا يسعون لمواجهة الإستعمار الفرنسي وحث الناس على مواجهة هذا الإستعمار، وكانت حركة الإمام الصدر وإنشاء حركة المحرومين كما ذكرنا، وكانت حركة العلماء الذين اطلعوا بدورهم في تعبئة الشباب للإنخراط في المقاومة وإنشاء المجتمع المقاوم، فكان الشهيد الشيخ راغب حرب الذي واجه العدو ورفض المصافحة، وكانت كلمته المشهورة (المصافحة اعتراف)، وبعد اعتقاله ابتدأت حركة الإعتصامات الجماهيرية في (جبشيت) ومواجهة العدو وأنشأنا أثنائها حركة علمائية جماعية سميت بـ (هيئة علماء جبل عامل) اطلعت بدورها في تعبئة الأمة لحمل السلاح ومواجهة العدو المحتل، وتصاعدت العمليات الجهادية ضد العدو، وكان العلماء يقدمون السلاح بعد شهادته، وينقلون السلاح بسيارتهم ويعبئون الناس حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم، بفضل الدماء الزكية التي سقطت وأثمرت نصراً كبيراً، مما جعل إسرائيل تهاب لبنان وترهبه يوماً كما هو حاصل اليوم،

مناقب وكرامات

كان يعمل ورّاقاً، فسأله الشيخ نعمة
عن عمله، فقال له الرجل: إنني بخير
ما دامت هاتان اليدان بخير

إنه العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد علي نعمة
العاملي، من مواليد قرية (حبوش) سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م، درس في
النجف الأشرف على كبار العلماء والأساطين، أمثال: السيد حسين
الحمامي والسيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي. عاد إلى
جبل عامل لينشر فيه العلم والمعرفة والإصلاح، فدخل في سلك القضاء
الجعفري، بهدف الإصلاح، ولم يكن راغباً في شيءٍ من حطام هذه
الدنيا، فترك أثراً طيباً في جبل عامل، وخلف عدّة تصانيف تعود بالفائدة
على أهل العلم والناس.

وتحكى عنه حكايات تكشف عن عمق إيمانه وصفاء قلبه وإخلاصه
الشديد، فذات يوم زاره أحد العاملين في مجال مهنة (الوراقة) فقال
له الشيخ عبد الله نعمة: «كيف حالك؟ وإن شاء الله الأمور ماشية على
خير؟» فردّ عليه الرجل قائلاً: «إنني بخير ما دامت هاتان اليدان بخير»،
فقطب الشيخ عبد الله ما بين حاجبيه، وقال له: «لا يا فلان لا تقل هذا، بل
قل، مادام رضا الله وتوفيقه معي» فقال الرجل: «يا شيخنا، هل علينا أن
ندخل الله في كل كبيرة وصغيرة»، فتبسّم الشيخ، وقال: «أجل، يا هذا، فلا
حول ولا قوة إلا بالله»، فسكت الرجل على مضض.

وبعد أيام، جاء شخص من بلدة ذلك الرجل، وقال: «يا شيخنا، إن فلان –
الورّاق – سُلت يده، وهو مريض على الفراش، وألحّ في طلبك»، فسارع
الشيخ عبد الله إلى زيارته، وما إن رآه الرجل حتى انكب على يديه باكياً
راجياً إياه أن يطلب المغفرة له من الله تعالى، فهدأ الشيخ عبد الله
من روعه، وطلب منه أن يهدأ، وأن يستغفر الله ويتوب، فإن الله غفور
رحيم، وبعد فترة، عاد الرجل إلى ما كان عليه، وشفيت يده، وأصبح من
الملازمين للشيخ عبد الله نعمة.